تأملات في آيات الله

تأملات في سورة المسد

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هذه السورة معدودة الآيات

**(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ (3) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ
الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (5))**

قلنا في سورة الضحى أن النبي عليه الصلاة والسلام لُمز لما
أنقطع عنه الوحي ومعنى ذلك أن له خصوم لا نستطيع أن
نقول أنهم خصوم عامة فقط ذنبهم أنهم لم يؤمنوا بل كانوا
يتحرشون به صلى الله عليه وسلم من هؤلاء أبو لهب وهو
الاسم الوحيد الذي جاء بالكنية في القرءان وأبو لهب أسمه
عبد العزى بن عبد المطلب وسمي أبو لهب لإشراق وجنتيه
أي لجماله تشبيهاً له بالجمرتين , ومع ذلك كله قال الله جلا
وعلا :(**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**)
العلماء رحمهم الله يقولون نقلاً عن الأخبار الصحيحة
وأخذ منها أن النبي صلى الله عليه وسلم نادى في
قومه يا صباحه : فاجتمعوا فلما اجتمعوا أخبرهم

عليه الصلاة والسلام ويبتليهم أولاً أنه سيحدثهم
بحديث فهل هم مصدقوه فأخبروه أنه محل صدق به
فلما دعاهم إلى
توحيد الله قال له أبو لهب (هذا الذي هو عمه) ألهذا
جمعتنا :
تباً لك سائر اليوم وأنفض ,فكان سبباً ذلك في
انفضاض
الناس عنه صلوات الله وسلامه عليه .
وثبت أنه صلى الله عليه وسلم أنه يدعوا في سوق
ذي المجاز
(أحد أسواق العرب الثلاثة) فكان يدعوا الناس إلى
التوحيد
فإذا فرغ من خطابه ودعوته قام عمه يتبعه ويفند ما
قال صلى
الله عليه وسلم ويقول لا تصدقوه إنه صابئ كاذب
قال أحد
الرواة فكان الناس يسألون من هذا فيقولون محمد
بن عبد الله
ومن هذا الذي يكذبه فيقولون عمه أبو لهب وكان
المفترض
على الأقل على سنن الجاهليين أن ينصر ابن أخيه
لكنه كان
يتبعه في كل محفل يكذبه
من أجل هذا قال الله (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)يقولون
العلماء تبت
الأولي دعاء والثانية أخبار وليست توكيد
فدعى الله جل وعلا عليه بلسان الحال وأخبر الله جل

وعلا وتب أي وقع ذلك الدعاء
تبت هذا دعاء وتب أي وقع ذلك الذي حصل وليس تكرار
للدعاء
قلنا إنَّ أبا لهب أحد أعمام النبي وأعمامه عشرة
أدرك الإسلام منهم أربعة أي أدرك البعثة النبوية أربعة من
أعمامه أسلم اثنان العباس وحمزة وكفر اثنان أبو طالب وأبو
لهب إلا أن أبا لهب كان شديد العداوة له صلوات الله وسلامه
عليه , لهذا كناه الله جلا وعلا في القرءان وذكره قال الله
تعالى :(ما أغنى عنه ماله وما كسب) (ما)النافية (عنه ماله)
واضح تجارته (وما كسب) حُملت على الولد يعني ولا ولد
وإن كان قد اسلم اثنان من أولاده ثم قال الله (سيصلى نارا
ذات لهب) ولهذا أجمع العلماء على أن هذه السورة من أعظم
المعجزات لنبينا صلى الله عليه وسلم ذلك أن أبا لهب لم يؤمن
لا ظاهراً ولا باطناً ولا سراً ولا أعلاناً لا هو ولا زوجته
قال الله (وامرأته حمالة الحطب) (وامرأته) وأسمها أم
جميل أخت أبي سفيان بن حرب (حمالة الحطب)

كناية عن
سعيها بين الناس بالنميمة (في جيدها حبل من
مسد)
الجيد هو ما يوضع عليه موضع الفخر للنساء موضع
لفت الأنظار
فعاملها الله جلا وعلا بجيد يكون موضع ذل وشؤم
عليها في
نار جهنم على أختلاف العلماء في ما معنى المسد
والأظهر
أنه حبل من ليف يوقد على النار يطوق به عنقها
يوم القيامة
الذي نريد أن تصل إليه في هذه السورة المباركة
أمور من
أهمها
قلنا في سورة الضحى قبل قليل عناية الله بنبيه,
من عناية
الله بنبيه أن الله جلا وعلا يقدمه حيناً لحكمة وينحيه
حيناً
لحكمة
نحاه الله جل وعلا هنا,
كيف نحى الله نبيه هنا ؟
قال الله(قل يا أيها الكافرون) وقال الله (قل أعوذ
برب الفلق
) وقال الله (قل هو الله أحد)
قال الله(قل يا أيها الناس أني رسول الله إليكم
جميعا) وقال الله
(قل أني أخاف أن عصيت ربي عذاب يوم عظيم)

وقال الله
جل وعلا (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم)
هنا لم يقل الله (قل تبت يدا أبي لهب وتب) لأن العم صنو
الأب فلأبي لهب حق على النبي صلى الله عليه وسلم لأنه
عمه , فنحاه الله جلا وعلا هنا وخاطب الله أبا لهب مباشرة
حتى يكون خطاب وبال له , حتى يكون أنكى في حق أبي
لهب ولا يقولن أحد من قريش يوم ذاك أن يقول إن النبي لم
يتأدب مع عمه, وقلنا أن العم له حق ,هذا أعظم ما يمكن أن
يستفاد من قضية السورة عموماُ
كذلك يستفاد أنه ليس بين الله وبين أحد من خلقه نسب ولو أن
أحد نفعه نسبه لنفع النسب أبا لهب وهو عم النبي صلى الله
عليه وسلم . الخسران والوبال إذا كتبه الله على عبد

هذا يدل على أن العبد طينة شقية وسريرته في الدرجات العليا
من الخبث والدرجات السفلى من النار,
وكذلك كان أ بو لهب, وإلا لله جلَ وعلا أعداء كثيرون
ذكرهم الله في كتابه لكن لم يسمهم ولم يشر

إلى كنيتهم ولم
يذكر بعضهم بألقابهم اللهم إلا قليل ,لكن هذا
الرجل ذكره
القرءان بكنيته فقال
(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ (3) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ
الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (5)).
عاش أبو لهب حتى بعد معركة بدر, ولم
يستطيع أن يخرج
إليها بعث غيره. حتى لا يموت موطن شرف لا
موطن شهادة
كافر لا يمكن أن يكون شهيداً , لكن القتل قتل
إنسان من أجل
مبدأ يسمى شرفاً من وجه أخر أنه يدافع عن
شيء يؤمن به
فأبو جهل مات موته يقول فيها لمن قتله لقد
ارتقيت مرتقى
صعب يا رويعي الغنم , فبقيت صورة أبي
جهل عند من
يؤمنون بنظريته ومذهبه وقوله وأنفته
واستكباره نظرة
عظيمة وإن كان أبو جهل ومن تبعه في
الباطل لكنهم كانوا
يعظمون أبا جهل لأن موته كان موتاً بالنسبة
لهم عزيزة
أما أبو لهب هذا فما قال الله فيه ما قال
إلا لخبث طينته مات أصابته نوع من المرض
كانت العرب

تخشاه يقولون إن فيه العدوى والناس تبقى
شفيقة على أنفسها يقولون فيما ينقلون إن
في زمن نوح لما جاء الطوفان إن
امرأة كانت تحمل وليدها على كتفيها فلما جاء
الطوفان خشيت
على أبنها من الغرق وقفت على أمشاط قدميها
ثم لما زاد
الطوفان حملته على رأسها حتى ينجو
فلما شعرت بالغرق وضعت أبنها تحتها
وأقضت عليه
قدمت نفسها وهذه جبلة في النفس عموماً
إن الإنسان ولو أدعى غير ذلك إذا وصل عند
الغرغرة

فهؤلاء أبناء أبي لهب يعرفون العداوة بينه
وبين النبي
ومع ذلك لما خشوا على أنفسهم أن يهلكوا
بمرض أبيهم
بعدوا عنه فأضحي بعيداً عنهم حتى أخر الأمر مات
فلما مات خافوا أنهم إذا قبروه يمرضوا, فيقال
أنهم
حملوه على خشبان أعواد يدفعونه بها حتى
أوصلوه إلى
حفرة أسفل جدار ثم أتوا الجدار من الخلف
وهدموه على أبيهم
, وما دام قد قال الله (تبت) آي خسرت
وهلكت, فهذا واحد

من أنواع التباب التي نالها أبو لهب في الدنيا ولعذاب الأخرة
أكبر , وكذلك فرعون كان يقول أليس لي ملك مصر وهذه
الأنهار تجري من تحتي
فيموت غرقاً وياليته لا يشمت به أحد من أهله, وإنما يُنجى
بدنه حتى يراه من كان يعظمه فلا يقع في نفسه شيء من
تعظيمه ,وأحياناً من الحكمة الأنسان إذا مرض وأصابه بعض
الأعراض الجانحة التي تذهب مثلاً قوته وذهنه, يحسن بأهل
ولايته أن لا يطلعوا الناس كلهم عليه .
سأقول فائدة شخصية
كنت أعرف أحد الصالحين غفر الله له ورحمه مات, وكنت
قريب منه لأمور عدة نسب وغير نسب,
لكن في أخر أيامه كنت لا أذن لأحد استأذنت من والده أن
أتولى شيئاً من أمره فكنت لا أذن لكل أحد أن يدخل فيراه
لأنه ليس محمود أن يُرى على كل حال, لأنه مريض وقد
يأتي احياناً ويتصرف تصرفات وتتكشف منه أمور غير
محمودة وهو معذور شرعاً لأنه أصلاً لا يدري لا

يعلم, لكن
قد ينطبع في أذهان الناس عند رأي صورته تلك
فلا يحسن
أن يراه كل أحد خاصة فيمن وقر في أذهانهم
صورة محمودة
له ....أظن هذا واضح

على هذا يقال ذلك الأنسان المسؤول عن أحد
ينبغي أن
يرعاه جيداً وأن يستفيد من آيات الكتاب البينات
الواضحات
في الأمور هذه وأن يعرف خصائص آيات كتاب
الله التي
يدل الله جلا وعلا عليها بعض علمه
التي دعى فيها لأبن عباس علمه التأويل
فقهه في الدين هذا من الفقه في الحياة
المستنبط من كلام ربنا جلا وعلا
هذا ما يمكن أن يقال كما قلت عن سورة المسد
التي سميت
بأخر حرف فيها إلا أنه زيد (ال) زيادة في
التعريف
الله جل وعلا قال (في جيدها حبل من مسد)
لكنها عرفت
مكتوبة بسورة المسد ,أقول تكراراً هذه السورة
لم أشرع في
بيان ألفاظها لأنها واضحة جلية ليس فيها غوامض
ألفاظ ,

لكن تكلمت عنها بإطار عام محاولاً قدر الإمكان توصيل
مراد الله جل وعلا من كلامه في هذه السورة المباركة
المختصرة.
والله المستعان وعليه البلاغ و صلى الله على محمداً وعلى
آله والحمد لله رب العالمين.